مسألة العبيد في جيش الإمارة الأغلبية

الأستاذة الدكتورة/ لطيفة بشاري بن عميرة

قسم التاريخ/ جامعة الجزائر 2

الملخص:

برزت مسألة العبيد في جيوش الدّول الإسلامية مشرقا ومغربا منذ القرن الثاني للهجرة/ الثّامن الميلادي، وكان ذلك عندما لجأ الخلفاء والأمراء في المشرق والمغرب إلى العبيد، فاستخدموهم في حراستهم، ثمّ أدخلوهم في صفوف الجيش فكان منهم المقاتلون، والقادة. ونهج الأغالبة في إفريقية نفس السّياسة لأسباب عديدة منها: التّخفيف من ضغط الجند العربي والبربري. فقد تكرّرت ثورات هؤلاء، وهدّدوا وجود الإمارة منذ بدايتها لأنّهم كانوا لا يتردّدون عن رفع السلاح في وجههم، خاصة في فترات السِّلم؛ حيث يصبحون عالة على ميزانية الدّولة، التي لا تستطيع تلبية رغباتهم أحيانا ويحدثون إضطرابات تضرّ بالأمن العام. فعمل بعض الأمراء على إضعافهم، وإدخال عناصر جديدة تمثلت في العبيد لغرض الاحتفاظ بالسّلطة، والانفراد بالقرار.

برزت مسألة العبيد، في جيوش الدّول الإسلامية، بوضوح منذ القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي، عندما لجأ الخلفاء والأمراء، في المشرق والمغرب، إلى استخدام العبيد بدل الجند العربي والبربري. فعمدوا في البداية إلى إحاطة أنفسهم بالرّقيق لحراستهم، ثمّ أدخلوهم في صفوف الجيش، فكان منهم المقاتلون، والقادة. واحتلوا بذلك مكانة الجند العربي والبربري، هؤلاء الذين فتحوا البلاد، وأقاموا الدّول.

ونهج الأمراء الأغالبة في إفريقية نفس السياسة وذلك لأسباب عديدة من أهمّها:

التّخفيف من ضغط الجند العربي: تسبب تهديد الجند العربي للأغالبة، وثوراته المتكررة، في زرع خوف خروج الأمر من أيديهم[1]، زيادة على أنهم لاحظوا أن الرستميين بتيهرت، والأدارسة بفاس[2] لم يعتمدوا على الجند العربي، فبدأ إبراهيم الأوّل (184-196هـ./ 800-812م.) بإبعاد العناصر المناوئة له منهم إلى المشرق، واشترى خمسة آلاف من العبيد السودان[3]، جعلهم حرسه[4] الخاص وقرّر الابتعاد عن دار الإمارة بالقيروان؛ والتّحصن بمكان يحميه من أي حصار، أو هجوم محتمل يقوم به الجند العربي؛ فاختار موضعا بفحص واسع، يقع جنوب عاصمة الولاية،على بعد بضعة أميال منها (حوالي 5 كلم)، وبنى مدينة العبّاسية[5]. ثمّ سكنها مع أهله، وحشمه، وأسكن

1- المالكي (أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله (القرن الخامس هـ./ 11م.): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبّادهم، تحقيق ونشر حسين مؤنس، القاهرة، 1951، جـ. 2، ص. 203.

2- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله قاسم بن عبد الله (ت سنة 272هـ./ 885م.): المسالك والممالك، وضع مقدّمته وهوامشه وفهارسه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، 1408هـ./ 1988م.، ص. 6 فما بعدها، وكانت إمارة نكور بشمال المغرب الأقصى، تستعين بجند من العبيد الصقالبة (حركات إبراهيم، المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط، الدار البيضاء، 1998م، ص. 96).

3- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشّيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب بعز الدين (555- 630م.): الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1418-1998م.، مج. 5، ص. 263؛ ذكر حسين مؤنس أنّ هؤلاء العبيد من الصقالبة لكنّه لم يذكر مصدره (تاريخ المغرب الكبير وحضارته، من القرن السادس إلى القرن التاسع عشر الميلاديين، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1412- 1992م.، مج. 1، ص. 267).

4- ابن الأثير، الكامل، مج. 5، ص. 263.

5- البلاذري (أحمد بن يحي بن جابر (توفي قبل سنة 302/ 914- 915م.): كتاب فتوح البلدان، نشره صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1956م.، القسم الأول، ص. 277؛ ابن الأثير، الكامل، مج. 5، ص. 313؛ ابن عذاري (أبو عبد الله محمد المراكشي (7هـ./ 13م.): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، طبعة بيروت، 1948م.، جـ. 1، ص. 92، 93؛ Al Abbasiya, p.16 ,article R..Basset E.I.T.1؛ حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، 1964، ص. 353 فما بعدها من عدة صفحات.

عبيده في غرف صغيرة، بسيطة البناء، بثكنات أقامها بأطراف المدينة[1]، متخليا عن جنده العربي[2] الذين ثاروا، ضدّه سنة 186هـ./ 802م. بزعامة حمديس في مدينة تونس ثم في سنة 194هـ./ 810م. بزعامة عمران بن مجالد بن يزيد الربعي[3] . فحاصروه بمدينة القيروان مطالبين بأرزاقهم[4].

وقد جعل إبراهيم المدينة الجديدة حصنا منيعا للاحتماء به من خطرهم، مستبدلا إياهم بعبيد من السودان، غرباء عن البلاد، ليس لهم صلة بأهلها، ولا يتكلّمون اللغة المحلية، فلا تنفُذ بينهم الدسائس[5]، وليس لهم عصبية

1- ابن عذارى، المصدر السابق، جـ. 1، ص. 92؛ En Noweri, Conquête de l'Afrique septentrionale par les musulemans et Histoire de ce pays sous les Emirs arabes, dans Ibn Khaldoun, Histoire des berberes et des dynasties musulmans de l'Afrique septentrionale, traduite de l'Arabe par le Baron Deslane, Paris, 1968, T. 1, p. 400; (G) Marçais: Fouilles à Abbassiya, près de Kairouan, Extrait du Bulletin archéologique, 1925, Paris, 1927, p.1sqq.

2- ابن الأثير، الكامل، مج. 5، ص. 313؛ عن عناصر هذا الجند ودوره في إفريقية (أنظـر: Vonderheyden, La berberie orientale sous la dynastie des Benoul-Arleb (800-909), Paris, 1927, PP. 69 sqq.

3- هو قائد حامية تونس، حاول القضاء على إبراهيم بن الأغلب، وأجبره على ترك القيروان، والتحصن بالعباسية ثم تراجع إلى الزاب وبقي يهدد الأغالبة، إلى أن قضي عليه أبو العباس عبد الله بن إبراهيم ثاني أمرائهم (ابن الأثير، الكامل، مج. 5، ص. 313. وهنا وهناك؛ حسين مؤنس، تاريخ المغرب، مجلد 1، جـ.1، ص.267).

4- البلاذري، فتوح البلدان، القسم الأول، ص. 276، 277.

5- أنظر الطالبي محمد، الدّولة الأغلبية (184-296هـ./ 800- 909م.)، التاريخ السياسي، نقله إلى العربية المنجي الصياد، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1985م.، ص. 154؛ قلّد الأغالبة الخلفاء العباسيين الذين أحاطوا أنفسهم بالعبيد وكذلك الأمراء الأمويين بقرطبة الذين اعتمدوا على الصقالبة في جيشهم، وكان يطلق عليهم هناك"الحرس الصامت "لأنهم لا يتكلّمون اللغة العربية (أنظر:Vonderheyden,op.cit.p.197).

عصبية تجمعهم، أو تحميهم وليس لهم طموح في السلطة يسعون لتحقيقه. بل يقتصر دورهم على تنفيذ أوامر سيدهم. فضمن بذلك ولاءهم، واطمأنّ لحمايتهم، وأوكل إليهم مهمّة حراسته، فكان بذلك أوّل من اتّخذ حرسا من العبيد السود في بلاد المغرب.

وهكذا عوّض الأمير الأغلبي، جزءا من الجند العربي بالعبيد، وهو يعلم أنّ ذلك ليس أمرا هيّنا لما فيه من إهانة للأوائل. إذ كان واحدا منهم وكان ولا شك يعلم ردّ فعلهم في كل من بغداد وقرطبة. عندما لجأ أمراء هذه، وخلفاء تلك، إلى إدخال الرقيق في الجيش ممّا يعني: تخليه عنهم ولو جزئيا. وهو في نفس الوقت مؤشر لبداية انتزاعه السلطة من أيديهم، وتسليمها لمجموعة من الغرباء لم يكن لهم أي فضل في تأسيس الإمارة، وإحلالهم محلّ الأحرار في المجتمع. وفي ذلك ازدراء واضح لهم.

ولكي يتّقي شرهم، أخذ كثيرا من الحيطة، فانتقل إلى المدينة الجديدة ليلا، و"جعل ينقل السلاح والأموال سرّا، وهو يراعي في ذلك أمور أجناده، ويصلح طاعتهم، ويصبر على جفائهم..."[1]. وعندما نفـــذ مشروعه، أظهر أنّه أراد أن ينزه الرعية عن القيام ببعض الحرف الشاقة، ويخفّف عن الجند بعض الأعباء، مثل: حراسة القصر، وحمل السّلاح. ولإقناعهم بصواب قراره، وكسب ثقتهم إلى حينِ إنجازِ مشروعه، "اشترى عبيدا (آخرين) لحمل سلاحه،

1- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التميمي القرشي) (ت سنة 732هـــ./ 1332م.): نهاية الأرب في فنون الأدب، طبعة غرناطة، 1917م.، جـــ. 2، ص. 64؛ الرقيق القيرواني (ابو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت بعد سنة 418هـــ./ 1027- 1028م.): تاريخ إفريقية والمغرب (قطعة منه تبدأ من أواسط القرن الأول إلى أواخر القرن الثاني الهجري)، تحقيق وتقديم المنجي الكعبي، نشر رفيق السقطي، تونس، 1968م.، ص. 222.

وأظهر للجند أنّه أراد إكرامهم"[1]. فتحوّل الجند العربي تدريجيا، من الولاء التام، إلى الحياد والتحفظ، ثم إلى العداء[2]. وتواصلت ثوراته[3]، ممّا دفع الأمراء الأغالبة إلى العمل أكثر على إضعافه. وواصل خلفاء إبراهيم اشتراء العبيد، والاعتماد عليهم، أكثر فأكثر، في حراستهم، وفي خدمتهم في قصورهم، وفي الجيش.

واستعمل الأمير زيادة الله الأول (201-223هـ./817-838م.)، وحدات من الحرس الأسود، لقمع ثورة عامر بن نافع، بسبيبة في 20 محرّم من سنة 210هـ[4]/ 13 ماي 825م. وقد أبيد جيشه عن آخره، وكاد أن يفقد مُلكه[5]، لولا تفاني عبِيده، وإخلاصهم في الدّفاع عنه وخلد

1- أنظر: En Noweiri, Conquête, T.1,p.400؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص. 222.

2- أبدى الجند العربي إخلاصا للأمير حتى سنة 186 هـ/802 م، كان ذلك في قضائه على ثورة خريش، لكنّه أظهر حيادا واضحا في أحداث طرابلس، سنة 189 هـ/805م.، ثم أصبح يتآمر ضده بعد ذلك (أنظر: الطالبي محمد، الدولة الأغلبية، ص. 167؛ Vonderheyden,op.cit., pp.84 sqq).

3- من أهم الثورات: تلك التي قام بها زياد بن سهل، سنة 207 هـ./ 823م.، وثورة عمرو بن معاوية بالقصرين في نفس السنة وثورة منصور الطنبذي، سنة 208هـ./ 824م.، وثورة سالم بن غلبون، سنة 233هـ/847-848 م.، وثورة القويع بتونس، سنة 234 هـ./ 849م.، (أنظر: ابن الأثير، الكامل، مج. 6، ص. 102 وهنا وهناك)، ويسميه ابن عذارى القويع (البيان، جـ. 1، ص. 96 فما بعدها؛ ابن خلدون العبر، جـ. 4، ص. 420 فما بعدها؛ الطالبي محمد، المرجع السابق، ص. 163 وهنا وهناك؛ Vonderheyden,op.cit.p.16 et p.76sqq).

4- ابن الأثير، الكامل، مج. 5، ص. 186؛ ابن عذارى، البيان، جـ. 1، ص. 100 فما بعدها.

5- ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي (ت سنة 658هـ./ 1260م.): الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، 1963م.، ج. 1، ص. 163.

تلك الهزيمة التي حلت به في بعض الأبيات، نظمها لأمه جلاجل، وهي أم ولد، جاء فيها:

أفنت سبيبة كل قرن باســـل ومن العـــــبيد جماجما أبطـــالا
فإذا ذكرت مصائبا بسبـــيبة فأبكى جلاجلُ وأُندبي أعـــوالا
يا ويح نفسي حين أركـــب غاديا بالقيروان تخـــــالني مختارا
في فتية مثل النجوم طوالــعُ وتخالني بين النجـــوم هـــــلال
فاليوم أركب في الرعـــاع ولا أرى إلا العبيد ومعشر أنذال" [1]

ومع أن الأمير أبا إبراهيم أحمد (242-249هـ./856-863م.) استفاد من الأموال الكثيرة، التي دخلت بيت المال من غنائم جزيرة صقلية[2]. فزاد في عطاء الجند، ليصطنعهم، ويهدئهم، لكنه بقي محتاطا منهم، لكثرة انتفاضاتهم في عهد أسلافه، فاشترى أعدادا أخرى كثيرة من الرقيق. وكوّن منهم فرقة خاصّة به، واتخذ منهم جندا[3]. وينفرد سعد زغلول عبد الحميد بالقول بأنّ هؤلاء من الصقالبة، وليسوا من العبيد السود. وبعد التخلص منهم لجأ الأغالبة إلى اقتناء العبيد السود[4]. في حين أنّ المصادر تتفق على أنّ الأغالبة كانوا يشترون السودان منذ بداية دولتهم؛ فإبراهيم الأول، هو الذي اشترى

1- ابن الآبار، المصدر السابق، جـ1 ، ص163 ؛و كان زيادة الله شاعرا (الرقيق القيرواني ،المصدر السابق، ص176).

2- أنظر حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ص. 371؛ الطالبي محمد، المرجع السابق، ص. 273، 274.

3- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن (ت سنة 808 هـ./ 1405م.)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، 1958م.، جـ4، ص429؛ ابن الأثير، الكامل، مج. 6، ص. 66.

4- تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، الجزء الثاني: تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار؛ والأدارسة حتى قيام الفاطميين، نشر منشأ: المعارف الإسكندرية، 1995م.، ص. 116.

هذا النوع من العبيد، وجعلهم حرسا له، ليتخلص من ضغط الجند العربي، ولا توجد إشارة في المصادر على أنه اشتراهم ليعوض بهم الصّقالبة[1]. مع العلم أن زغلول لم يشر إلى المصدر الذي استقى منه معلوماته.

وقد اقتنى إبراهيم الثاني (261-289هـ./ 874-902م.)، تاسع الأمراء، عددا كبيرا من العبيد السودان[2]. بعدما قتل أولئك الذين كانوا قبلهم في القصر القديم، سنة 264 هـ./ 877-878م.، على إثر انتفاضتهم ضدّه، لأمره بقتل واحد منهم، يدعى مطروح بن أمّ بادر[3]، لأسباب لم تذكرها المصادر، أو لأن هؤلاء العبيد احتجوا على مغادرة القصر القديم لأنهم نشأوا هناك، كما يرى سعد زغلول عبد الحميد[4]. غير أن طبيعة علاقة العبيد بسيدهم، لا تسمح لهم باتخاذ موقف لسبب كهذا. فاقتناؤهم تمّ أساسا، ليكونوا رهن إشارة سيّدهم ،ولم يكن بإمكانهم أن يعارضوا قرار انتقاله من مكان لآخر، ويحدثوا اضطرابا بالمدينة.

1- لقد انتشر السودان في جيش تلك الفترة حتى في مصر؛ فالعباس بن أحمد بن طولون زحف على برقة، بجيش أغلبه، إن لم يكن كلّه من العبيد السود، إذ بلغ عددهم عشرة آلاف (أنظر: الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف (ت سنة 350هـ./ 961م.): كتاب الولاة، وكتاب القضاة، مهذبا ومصححا بقلم رفن كست، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1958م.، ص. 219؛ أبو المحاسن (جمال الدين بن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت سنة 874هـ./ 1469م.): النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، قدّم له، وعلّق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1413هـ./ 1992م.، جـ. 3، ص. 40؛ ابن الأثير، الكامل، مجلد 6، ص. 255 و256).

2- ويذكر النويري أنّ ابراهيم الثاني، اشترى سنة 278 هـ./ 8911-892م، مائة ألف عبد أسود، أمّر عليهم ميمون وراشد وكلّفهم بحراسة قصره (Conquête, T.1,p.428.) لكن هذا الرقم، كما هو واضح مبالغ فيه.

3- En Noweiri, op.cit., p.425.

4- المرجع السابق، جـ. 2، ص. 119.

ويرى محمد الطالبي أن صفقة اقتناء الرقيق كلفت هذه المرّة، بيت المال، مبلغا كبيرا، في وقت كانت البلاد تعاني من ضائقة مالية، لم تستطع أموال الجباية حلّها، إلى درجة أن الأمير اضطرّ إلى تحويل مصاغ نسائه إلى عُملة، لتجهيز جيشه الذي أرسله لردّ هجمات ابن طولون على برقة[1].

وقد يكون عدد الذين اشتراهم إبراهيم الثاني من العبيد وصل إلى عشرة آلاف،أسكنهم ثكنات خاصة بهم، في مدينة رقادة[2]. مقتديا في ذلك بما فعله جدّه إبراهيم الأول[3]. وأمر بكسائهم وتدريبهم على حمل السلاح، وأصبح يعتمد عليهم في الحروب، ومن بين الذين برزوا منهم، وأظهروا شجاعة، وجلدا وقوة ميمون الحبشي[4].

وفي سنة 280 هـ/ 893م. طالب إبراهيم الثاني الملاك أن يسلموا العبيد والخيل للدولة، قصد إضعافهم، وتقوية صفوف جيشه، في وقت كانت البلاد تمرّ بأزمة مالية. فثار سكان تونس وجزيرة شريك، وباجة، وصطفورة، والأربس، وقمودة. ولم يسلم من نار الفتنة إلا الساحل وإطرابلس. ولما شعر الأمير الأغلبي بالخطر أمر بحفر خندق حول مدينة رقادة، وأغلق أبوابها

1- الدولة الأغلبية، ص. 308- 309.

2- شرع إبراهيم الثاني في بناء مدينة رقادة، سنة 263هـ./ 876م.، على بعد 8 كلم جنوب غرب مدينة القيروان، ثم نقل إليها أهله، وحاشيته، وإدارته، وأسكن فيها حرسه من رقيق السودان (ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي): معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط. 2، 1995م.، مج. 3، ص. 55-56؛ par G..Marçais,E.I. éd.1936, art.Rakkada, p.1188,؛ ابن عذارى، البيان، جـ. 1، ص. 162؛ حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص. 360 فما بعدها).

3- حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص. 371.

4- ابن عذارى، البيان، جـ. 1، ص. 123؛ أو هو صالح الخادم (En Noweiri op.cit.T1.p.429.؛ الطالبي محمد، المرجع السابق، ص. 319).

الحديدية، وكلّف خمسة آلاف من العبيد السودان بالدفاع عن قصره[1]. كما أخرج ميمون الحبشي إلى أهل قمودة، فهزمهم، وتوجه من هناك إلى تونس، فانتصر على الثائرين بها، واستباح جنده المدينة، فنهبوا أموالها وسبوا نساءها، وأسروا حوالي ألف ومائتين من وجوه القوم[2]. واسترق منهم الكثير، ومن هناك تحول ميمون إلى صطفورة، فقتل عددا كبيرا من أهلها[3]. وهكذا استطاع هذا القائد، القضاء على أولئك المنتفضين بسرعة[4]. بسبب تفرّق أهل هذه المدن، وعدم توحيد جهودهم "بل أقام كل رئيس بمكانه"[5]. وقد يكون ميمون قام بإخضاع أهل قمودة فقط. أما القائد الذي قضى على انتفاضة مدينة تونس وصطفورة فهو عبدُ آخر يدعى الخادم صالح[6].

وفي سنة 281هـ./[7] 894 م.، أوفد الأمير إبراهيم ميمونا، مرّة ثانية، إلى مدينة تونس للقضاء على اضطرابات تسبب فيها جماعة من بني تميم ،فأدّى مهمته بنجاح، وقتل بعضًا من رجالها، وأسر عددا آخر، قدم بهم إلى مدينة رقادة من بينهم القاضي أبي شجرة[8]. ولما عاد هذا القائد، نظم له الأمير

1- ابن عذارى، المصدر السابق، جـ1، ص. 123. 124؛ En Noweiri , op.cit.,p.428

2- ابن عذارى، المصدر السابق، جـ1، ص. 123.

3- ابن عذارى، المصدر السابق، جـ1، ص. 123؛ En Noweiri , op.cit.,p.428

4- أنظر: الطالبي محمد، المرجع السابق، ص. 319.

5- النويري، نهاية الأرب، ج. 2، ص. 85.

6- En Noweiri, Conquête, p.429 عادلة علي حمد:قيام الدولة الفاطمية في بلاد إفريقية والمغرب، الإسكندرية، 1980م.، ص. 150.

7- أو سنة 286 هـ. (القاضي عياض أبو الفضل اليحصبي (476- 544هـ./ 1083- 1149م.): تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تحقيق محمد الطالبي، الجمهورية التونسية 1968م.، ص. 319).

8- وأمر الأمير بقتل هذا القاضي (نفسه).

الأمير حفلا بالمناسبة، وولاه على المدينة[1]. لكنه ما فتىء، بعد ذلك أن قُـــتل على يد النفوسيين، في طرابلس[2].

وقد تصدى العبيد مع جيوش إبراهيم بن أبي الأغلب،لأبي عبد الله الشيعي سنة 289 هـــ./902م. ولما انهزمت وعاد كل منها إلى موطنه، عادوا إلى القيروان، فقتلوا عن آخرهم[3].

وفي سنة 294 هـــ/906 م ، قاد يحفور ،عبد زيادة الله الثالث، خمسمائة فارس للدفاع عن قلعة تيجيس (Thigis)، وتمكن من ردّ جيش الشيعي. إلاّ أن ابن ركاب، الوالي عليها اتصلّ سرّا بالدّاعي، فردّ جيشه إليها، بقيادة يوسف الغشمي، ولّما وصلها أمّن يحفور ومن معه، فعادوا إلى الأربس[4]، الأربس[4]، ممّا دفع القلاع القريبة منها إلى الاستسلام.

كما شارك الحرس الأسود إلى جانب الموالي، والبربر من قبائل لواتة، وكرتاتة، ومكلاتة، وهوّارة، ونفزة، في آخر معركة بين الأغالبة، وأبي عبد الله الشيعي،لكنهم انهـــزموا[5]. ولّما دخل الشيعي رقادة ،أمر بقتل جماعة من

1- ابن عذارى، المصدر السابق، جـــ. 1، ص. 123؛ النويري، المصدر السابق، جـــ. 2، ص. 85.

2- En Noweiri , op.cit.,p.430 ؛ الطالبي محمد، المرجع السابق، ص327.

3- القاضي النعمان (بن محمد بن حيون التميمي، أبو حنيفة قاضي قضاة الدولة الفاطمية (ت سنة 363هـــ./ 973م.): رسالة افتتاح الدعوة (رسالة في ظهور الدّعوة العبيدية الفاطمية، تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، 1970م.، ص. 167 فما بعدها من عدة صفحات (تحقيق وداد القاضي).

4- نفس المصدر، ص. 204. 205.

5- أنظر:(G)Demombynes E.I.,T.1, article :Aghlabides

السودان، خوفا من تآمرهم عليه مع إبراهيم القوس[1]، الذي كان يحرّض على الثورة ضده[2].

و لم يقتصر استخدام العبيد السود في المعارك، على الأمراء الأغالبة، بل كان القادة المتمرّدون عليهم أيضا، يفعلون ذلك، ففي سنة 210 هـ./ 825م.، خرج عامر بن نافع، عن زيادة الله الأول، وسار إلى قسطيلية، و كان في جنده ألف من السودان، مسلّحون بالفؤوس، والمساحي[3]. فانتصر على القائد الأغلبي سوادة [4]. ويدلّ استخدام العبيد هذه الآلات على أنّهم كانوا يعملون في فلاحة الأرض، أو أنّ حشدهم للحرب تمّ فجأة، أو أن مولاهم لم يدربهم على حمل السلاح، أو ربما لم يكن له حينئذ أسلحة كافية ليمدّهم بها.

فالأمراء الأغالبة إذا، لم يعودوا يعتمدون على الجند العربي، والبربري لحماية أراضيهم، وسلطانهم، منذ أن أقصاهم زيادة الله الأوّل عن الحياة السياسية. وكلّف هو وخلفاؤه، من بعده الأرقاء من السودان، خاصّة، بمهمّة الدفاع عن البلاد، وأمرائها. و لم يترددوا في شراء العبيد مهما كلفهم ذلك من أموال، ولو في أوقات الأزمات المالية؛ لما يمثلونه من أداة طيّعة في أيديهم كما يسهل عليهم التخلص منهم، في حالة ما إذا تحوّلوا إلى عناصر شغب، فحتّى سكان البلاد لم يكونوا يأبهون لمقتلهم، لكونهم غرباء، ومن شريحة دنيا. وإذا لم

1- ابن عذارى، البيان، جـ. 1، ص. 146 وص. 150؛ سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، جـ.2، ص.581؛ والقوس، هو: إبراهيم بن بربر بن يعقوب التميمي، المعروف بالقوس، قتله أبو عبد الله الشيعي خنقا، وقال: "ما أمنت إفريقية حتى قتلت القوس" (ابن عذارى، المصدر السابق، ص. 205؛ سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، جـ. 2 ، ص. 581).

2- أنظر لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م.)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.، ص. 312.

3- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، جـ. 2 ، ص.581.

4- ابن عذارى، المصدر السابق، جـ. 1، ص.101؛ En Noweiri, op.cit., p.409

تكن هناك حاجة إليهم يتمّ الاستغناء عنهم بسهولة، دون أن يترك فقدانهم فراغا يذكر.

وفي فترة متأخرة من عمر الإمارة الأغلبية، جنّد الأغالبة الرقيق الصقالبة، في الجيش، إلى جانب السودان[1] فكانوا يشترونهم في سنّ مبكرة ويعتنون بتربيتهم تربية عسكرية، ليصبحوا حرسا خاصا لهم، وجندًا يقومون بحماية سلطتهم[2]. غير أن المعلومات حول دورهم في العمليات العسكرية البرية ليست متوفرّة.

ويدل تمسك الأمراء بهؤلاء الأرقاء، واشتراء مجموعات جديدة، كلما تخلصوا من التي سبقتها، وإهمال العناصر المحلية العربية، والبربرية، في الجيش، على أنّهم لم يكونوا على وفاق معها، وربما سيطر عليهم هاجس ضياع السلطة من أيديهم، فعملوا على الاستغناء عنها، والانفراد بزمام الأمور، بواسطة الأرقاء، لدرجة جعلت Vonderheyden يرى أنه لم يبق للإمارة الأغلبية في مرحلتها الأخيرة، جيش رسمي، ما عدا العبيد السود[3].

ورغم اعتمادهم على الرقيق، فإنّ الأغالبة لم يسمحوا لهم بتولي الوظائف الحربية، التي لم يكن يضطلع بها إلاّ الأشخاص الذين ينتسبون لأسرهم[4].

وهكذا فإنّ همَّ الأمراء الأغالبة كان التّخفيف من ضغط الجند العربي والبربري الذي لم تتردّد عناصره عن رفع السّلاح في وجههم خاصّة في فترات السّلم حيث يصبحون عالة على ميزانية الدّولة، التي لا تلّبي رغباتهم أحيانا،

1- أنظر: الطالبي محمد، الدولة، ص760.

2- أنظر: حسين مؤنس، تاريخ المغرب، مج. 1، جـــ. 1، ص. 267.

3-op.cit.,p. 231.

4- حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص. 201.

فينتفضون، ويحدثون اضطرابات تُضرّ بالأمن العام. وفي بعض الأحيان يهدّدون وجود السلطة ذاتها، فعمل البعض على إضعافهم، ودفعهم إلى الاندماج في المجتمع المدني، وإدخال عناصر جديدة بدلا عنهم تمثلت في الرّقيق، لغرض الاحتفاظ بالسلطة، والانفراد بالقرار.

البيبليوغرافيا:

بالعربية:

1- ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي (ت سنة 658هـ./ 1260م.): الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، 1963م.، ج.1.

2- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشّيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب بعز الدين (555- 630م.): الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1418-1998م.، مج. 5.

3- البلاذري (أحمد بن يحي بن جابر (توفي قبل سنة 302/ 914- 915م،): كتاب فتوح البلدان، نشره صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1956م.

4- حركات إبراهيم، المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط، الدار البيضاء، 1998م.

5- حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، 1964.

6- حسين مؤنس: تاريخ المغرب الكبير وحضارته، من القرن السادس إلى القرن التاسع عشر الميلاديين، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1412- 1992م.، مجلد 1، جـ..1

7- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله قاسم بن عبد الله (ت سنة 272هـ./ 885م.): المسالك والممالك، وضع مقدّمته وهوامشه وفهارسه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، 1408هـ./ 1988م.

8- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن (ت سنة 808 هـ./ 1405م.)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، 1958م.

9- الرقيق القيرواني (ابو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت بعد سنة 418هـ./ 1027- 1028م.): تاريخ إفريقية والمغرب (قطعة منه تبدأ من أواسط القرن الأول إلى أواخر القرن الثاني الهجري)، تحقيق وتقديم المنجي الكعبي، نشر رفيق السقطي، تونس، 1968م.

10- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، الجزء الثاني: تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار؛ والأدارسة حتى قيام الفاطميين، نشر منشأ المعارف الإسكندرية، 1995م.

11- عادلة علي حمد: قيام الدولة الفاطمية في بلاد إفريقية والمغرب، الإسكندرية، 1980م.

12- ابن عذاري (أبو عبد الله محمد المراكشي (7هـ./ 13م.): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، طبعة بيروت، 1948م.، جـ. .1

13- القاضي عياض أبو الفضل اليحصبي (476- 544هـ./ 1083- 1149م.): تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تحقيق محمد الطالبي، الجمهورية التونسية 1968م.
14- الطالبي محمد: الدّولة الأغلبية (184-296هـ./ 800- 909م.)، التاريخ السياسي، نقله إلى العربية المنجي الصياد، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1985م.
15- الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف (ت سنة 350هـ./ 961م.): كتاب الولاة، وكتاب القضاة، مهذبا ومصححا بقلم رفن كست، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1958م.
16- لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م.)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.
17- المالكي (أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله (القرن الخامس هـ./ 11م.): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبّادهم، تحقيق ونشر حسين مؤنس، القاهرة، 1951م.، الجزء 2.
18- أبو المحاسن (جمال الدين بن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت سنة 874هـ./ 1469م.): النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، قدّم له، وعلّق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1413هـ./ 1992م.، جـ. 3.
19- القاضي النعمان (بن محمد بن حيون التميمي، أبو حنيفة قاضي قضاة الدولة الفاطمية (ت سنة 363هـ./ 973م.): رسالة افتتاح الدعوة (رسالة في ظهور الدّعوة العبيدية الفاطمية)، تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، 1970م.
20- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التميمي القرشي) (ت سنة 732هـ./ 1332م.): نهاية الأرب في فنون الأدب، طبعة غرناطة، 1917م.، جـ. 2.
21- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي): معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط. 2، 1995م.، مج. 3.

بالفرنسية:

1- Basset R.: E. I., T. 1, article Al Abbasiya.
2- Demombynes (G.), E. I., T. 1, article Aghlabide.
3- En Noweri,conquête de l'Afrique septentrionale par les musulemans et Histoire de ce pays sous les Emires arabes, dans Ibn Khaldoun, Histoire des berberes et des dynasties musulmanes de l'Afrique septentrionale, traduite de l'Arabe par le Baron Deslane, Paris, 1968, T.1.
4- Marçais(G.): Fouilles à Abbassiya, près de Kairouan, Extrait du Bulletin archéologique,1925, Paris, 1927.
5- Marçais (G.): E. I., éd. 1936; art. Rakkada.
6- Vonderheyden, La berberie orientale sous la dynastie des Benoul-Arab (800-909), Paris, 1927.